حيـاتي الايمانيـة

الشماس حنـا عربـو

عنـــدما التقى بي احـــد الآبـاء الافاضل من محرري مجلة «نجم المشرق» الغـراء وعـــرف اني ابن ٩٧ سنة والحمـــد لله ، تعجب وقال : انت تاريخ حي ، ارجوك ان تتحف مجلتنا ببعض ذكرياتك . فقلت له : يا ابني انا انسان بسيط وذكرياتي بسيطة مثلي ؛ واعز ما عندي من ذكرياتي ايماني بالله منذ نعومة اظفاري والى اليوم ، ولكن على طلبك اكتب لك هذه الاسطر فانشرها ان رأيت فيها فائدة للقراء.

وقبل البدء بسرد ذكرياتي ، يطيب لي ان اعبر عن اعجابي بمجلة «نجم المشرق» والف شـــكر لســـيدنا البطريرك على نشرها ، وشـــكري واحترامي للكتـــاب الافاضـــل الذين يزينون المجلة بمقالاتهم المفيدة.

الطفولة :

ولدت في تلسقف في شهر ايار سنة ١٨٩٩ ونلت العماد في ٢٦ حزيران من السنة نفسها باسم هرمز على اسم خوري قريتنا المشهور انذاك الخوري هرمز شماشا. والدي كان شماساً رسائلياً ، وكان يذهب يومياً الى الكنيسة لتلاوة الصلوات الطقسية. ولما بلغت السادسة اخذني الى مدرسة الكنيسة ويديرها معلم واحد من شمامسة القرية او راهب من دير السيدة ، ويشتمل منهاج دراستنا على تعلم اللغة الكلدانية ومبادىء الديانة . ويداوم الاولاد حتى سن العاشرة عادة فيتركون المدرسة الى العمل في الفلاحة ليساعدوا اهلهم ، فالفلاحة كانت سبب معيشتنا.

كان احد الرهبان الكلدان من اقربائنا يزورنا احياناً ، فاعجبت به ورغبت ان اسير على خطاه في الرهبانية لكن والدي منعني لصغر سني.

ارضنا التي كانت ملكنا ونزرعها كانت صغيرة بحيث ان غلتها ما كانت تكفينا ، فتعلم ابي حياكة الاحزمة من الصوف لاستعمال الرجال والنساء ، وتعلمت المهنة منه وبدأت اساعده ثم تعلمت حياكة الاقمشة الصوفية وخاصة الجاجيم الموصلي وهو غطاء النوم ، ثم الاكياس المستعملة لتعبئة الحبوب.

ما كنت اهمل ابداً واجب الذهاب الى الكنيسة للقداس والصلوات لأني احببتها.

في خريف ١٩١٤ على ما اذكر انتشر خبر نشوب الحرب ، واخذت الحكومة العثمانية تجمع الرجال وتسوقهم الى ساحة الحرب ، فكان الشباب يهربون من القرية عند سماعهم بقدوم رجال الحكومة ، وارتفعت اسعار المواد الغذائية ، وبدأت الحكومة تفرض حصتها من الحبوب على

الفلاحين اكثر من السابق لان الجيش كان بحاجة الى طعام . وفي سنة ١٩١٧ في آخر سني الحرب كان وارد الغلة اقل من السنوات السابقة . اما الحكومة فلاحتياجها الشديد لتغذية الجنود اجبرت الفلاحين على تزويدها بالكمية المفروضة عليهم ، وكان رجال الحكومة يدخلون البيوت وياخذون ما يعثرون عليه ، وكانوا يعطون لاصحاب الحنطة نقوداً من الورق يقال لها «بنك نوط» وهي اوراق نقدية لا قيمة لها في الاسواق اذ لا يتعاملون بها ، فالناس كانوا متعودين على ليرة الذهب واقسامها ، وهكذا حدثت مجاعة عظيمة في الموصل واطرافها اودت بحياة الاف البشر.

في المعهد البطريركي :

بسبب الحرب وغلاء مواد المعيشة اضطر البطريرك عمانوئيل الى غلق المعهد الكهنوتي وارسل التلاميذ الى اهاليهم على ان يعودوا بعد انتهاء الحـرب . وهكذا حدث ، فقد اعيد فتح المعهد . فطلبني خوري قريتنا وقالي لي : اخترتك للدخول في السمنير لان معظم التلاميذ السابقين لم يعودوا . فطلبت مهلة لمراجعة ذاتي ومفاتحة والدي الذي قالي لي : انت اصبحت رجلاً وتعلم ان من يدخل هذا السلك يستعد للكهنوت ويبقى بتولاً . فقررت ان ادخل المعهد معتمداً على نعمة الله ، فذهبت الى الموصل مع طالب اخر آسمه شمعون جبو مرقس ، واستقبلنا الرئيس وكان القس عمانوئيل رسام وسلمنا الى عهدة تلميذ اقدم منا اسمه ميخا عوديش الذي صار كاهناً باسم القس ابلحد عوديش ، مع زميليه حنا من شرانش وبولس من كرمليس وهؤلاء من التلاميذ الذين كانوا قبل نشوب الحرب فعادوا وارتسموا سنة ١٩٢١.

وبذلت جهوداً كبيرة للدراسة ، واتقنت المقامات الطقسية المستعملة في كنيسة مسكنته وكنت سعيداً في المعهد لكن بعد ثلاث سنوات رايت صعوبة الخدمة الكهنوتية فطلبت من رئيسي الفاضل ان يعفيني من الاستمرار فاستغرب ، لكنه قال لي : افعل ما يلهمك الله ، فعدت الى اهلي ثم رحلت الى بغداد فاشتغلت ، وفي العاصمة ايضا لم اهمل واجباتي الدينية فكنت اذهب الى كاتدرائية ام الاحزان دائماً للخدمة.

الوظيفة :

وعندما تعينت في الزراعة عملت في ابو غريب ثم في مزرعة بكره جو في السليمانية ، وفي مزرعة الحويكة مقابل عين كبريت في الموصل لمكافحة الجراد وتحسين زراعة الفستق ، ثم في البصرة لمكافحة حشرة المن في بساتين النخيل في ابو خصيب . وفي الوظيفة دعيت حنا.

وفي البصرة رسمت شماساً سنة ١٩٣٩ من يد البطريرك عمانوئيل الذي قدم الى البصرة لتكريس كنيسة العشار التي اهتم ببنائها المطران حنا نيسان.

في كل هذه الاماكن التي ذهبت اليها بحكم وظيفتي كان يوجد كنيسة وهذا من حسن حظي ، فما اهملت واجباتي الدينية بل كنت اخدم القداس لأني اعتبر خدمة المذبح اشرف خدمة اقدمها لله ، والى اليوم وانا بهذا العمر المتقدم يسعدني ان ألبي طلب الكاهن لخدمة القداس والكنيسة واشعر باني ذاك الفتى الذي كان يهرع الى الكنيسة في قريته . ووصيتي الى اولادي واحفادي ومن يقرأ اسطري هي الآية الكريمة «راس الحكمة مخافة الله».